المحاضرة الخامسة: الأفلاطونية

أولا- مفهوم الأفلاطونية

هي فلسفة تستمد إلهامها النهائي من أفلاطون، على الرغم من وجود تقليد في العصور القديمة حول "العقائد غير المكتوبة" لأفلاطون، إلا أن الأفلاطونية آنذاك ولاحقا كانت تعتمد أساسا على قراءة الحوارات، لكن يمكن قراءة هذه الكتب بطرق عديدة، وغالبا بشكل انتقائي جدا، وقد يكون كل ما يمكن القول عنه في أنواع الأفلاطونية المختلفة هو الاهتمام الشديد بجودة الحياة البشرية—دائما أخلاقية، وغالبا دينية، وأحيانا سياسية، مبنية على إيمان بحقائق ثابتة وأبدية، والتي كان أفلاطون يسميها أشكالا مستقلة عن الأشياء المتغيرة في العالم التي تدركها الحواس، و ترى الأفلاطونية هذه الحقائق كأسباب لوجود كل شيء في الكون وعلى أنها تعطي قيمة ومعنى لمحتواه بشكل عام وحياة سكانه بشكل خاص، إن هذا الإيمان بالقيم المطلقة المتجذرة في عالم أبدي هو ما يميز الأفلاطونية عن فلسفات أسلاف وخلفاء أفلاطون المباشرين، وعن الفلسفات اللاحقة المستوحاة منها—من الطبيعية الذهنية لمعظم ما قبل سقراطيين وعن النسبية لدى السفسطائيين، ومن تصحيح الأفلاطونية في هذا الاتجاه الدنيوي الذي نفذه أعظم تلاميذ أفلاطون، أرسطو.

---

1 ــ الفلسفة، (من اليونانية، باللاتينية، philosophia، "حب الحكمة") هي التفكير العقلاني والمجرد والمنهجي للواقع ككل أو في الأبعاد الأساسية للوجود والتجربة البشرية. البحث الفلسفي هو عنصر مركزي في التاريخ الفكري للعديد من الحضارات.

ثانيا /المبادئ العامة

1 نظرية المعرفة التي يكمل بها ما أبداه سقراط من تفنيد مذهب السوفسطائيين.

وخلاصة القول فيها : أنَّ العلمَ لا يُمكن أن تأتي به الحواس وحدها، وأنَّ العقل هو الأداة التي نستعين بها في الوصول إلى المعرفة مهما كان نوعها، ولا بد من التفريق بين العلم الصحيح والرأي الشخصي.

وإلى هنا سار أفلاطون في نفس الطريق التي سلكها أستاذه سقراط، حيث انتهى إلى أن المدركات العقلية وحدها التي يعبر عنها بالتعاريف هي العلم، ولكنه لم يقف عند هذا الحد الذي وقف عنده سقراط، بل تابع السير حتى وصل إلى الحقيقة المطلقة بنظرية المثل التي ننتقل الآن إلى شرحها.

2 ــ نظرية المُثُل التي تبحث في الحقيقة المطلقة.

كل إدراك كلي له حقيقة خارجية هو صورة لها، وهذه الحقائق الخارجية هي ما يسميها أفلاطون بالمُثُل Ideas ولهذه المُثُل صفات فهي:

* عناصر، ومعنى عناصر في الفلسفة أن وجودها من نفسها، لم يسبب وجودها شيء خارج عنها، وأنها أساس الأشياء ولا شيء أساس لها، لا تعتمد على شيء وغيرها يعتمد عليها، وهي الأُسس الأُولى للعالم.

*وهي عامة لا خاصة، فمثال الإنسان ليس إنسانًا خاصًّا بل هو الحقيقة العامة لكل إنسان.

* وهي ليست أشياء مادية بل معاني مجردة، لها وجود في نفسها مستقل عن كل عقل، وما في العقل — إذا صدق — صورة لها.

* وكل مثال وحدة لا تتعدد، وإنما الذي يتعدد أفرادها، فمثال الإنسان واحد، ومثال الجمال واحد، وإنما يتعدد الأشخاص.

* وهي أبدية لا تفنى إنما تفنى الأشخاص، فالأشياء الجميلة تفنى، أما مثال الجمال فلا، كالتعاريف، فتعريف الإنسان حقيقة خالدة لا تتأثر بما يطرأ على أفراد الإنسان من تغير.

* وهي جوهر الأشياء؛ لأن التعريف يشتمل على الصفات الجوهرية للشيء، فإذا عرفنا الإنسان بأنه حيوان مفكر فمعنى هذا أن التفكير هو جوهر الإنسان، وأما الصفات العارضة كشكل الأنف مثلًا فلا تدخل في التعريف.

*كل مثال كامل، فمثال الإنسان هو نموذجه الكامل، والإنسان الشخصي يبتعد منه ويقرب بنسبة كماله.

*وهي لا يحدها زمان ولا مكان وإلا كانت مشخصة.

*وهي معقولة، أعني أن في إمكان العقل إدراكها، وذلك بالبحث والاستنباط.

* الطبيعة (الفيزيقا) وهي تبحث في ظاهر الوجود من حيث هو مادة تملأ المكان والزمان.

يرى أفلاطون أن هناك عالَمَيْن: عالم المُثل وهو عالم الحقيقة وهو الأساس، وعالم الطبيعة وهو عالَمنا هذا، وهو عالَم الظواهر المحدود بالزمان والمكان، أما العالَم الأول فليس محدودًا بزمان ولا مكان، وعالم الطبيعة ينقسم إلى قسمَيْن: جسماني وهو هذه الظواهر التي نراها ونحس بها، وغير جسماني وهو النفس.

* العالم الحسي

يرى أفلاطون أن هذا العالم الحسي صورة لعالَم المُثل، فكل شيء يحاول أن يحاكي مثاله ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وكلما اشتد قربًا من مثاله كان أكبر حظًّا من الحقيقة، ولكن لماذا يكون للمُثل أشياء تصورها وتمثلها؟ وبمَ نعلل انبعاث هذه الصور الحسية التي تنسج على منوال مُثُلها؟ وكيف خرج عالم الحس من عالم المثل؟ لم يجب أفلاطون عن هذه الأسئلة إجابة واضحة صريحة، ولكنه سلك في ذلك التعبير الشعري، وذلك في كتابه المسمى تيمايس Timaeus وهو أغمض كتاب من كتب أفلاطون، وغموضه — كما يقول بعض المؤرخين — راجع إلى قلة معرفته بالعلوم الطبيعية، فقد كانت العلوم الطبيعية إذ ذاك في طفولتها، ومع هذا فقد حاول في هذا الكتاب أن يشرح حركات النجوم والكواكب والضوء والحرارة والصوت والماء والثلج والحديد والذهب ... إلخ، ولكن شرحه لهذه المسائل أكثره فروض يتخللها قليل من الحقائق.

في الكون حقيقتان نهائيتان: الوجود المطلق من ناحية والعدم المطلق من ناحية أخرى، وبين هذا وذاك مرحلة متوسطة هي هذه الأشياء التي تقع تحت حواسنا؛ لأنها تشارك المُثل في وجودها، وتشارك المادة في عدمها، فالشيء قبل أن يُصاغ على صورة مثاله كان مادة لا صفة لها ولا شكل، وإذا انتزعت من المادة صفاتها وشكلها كانت لا شيء، فلما أن بدأ ذلك الشيء المعين ينتزع نفسه من المادة التي هي في حكم العدم، وينطبع على نسق مثاله، أخذت تميزه بعض الصفات فاكتسب بذلك حقيقة الوجود؛ ولذا كانت الأشياء المحسة أنصاف حقائق؛ فلا هي مجردة كالمُثُل فتكون حقيقة مطلقة، ولا هي مادة خالصة خالية من صور المُثل خلوًّا تامًّا فتكون عدمًا مطلقًا، بل هي تجمع بين الوجود والعدم.

3 ـ النفس الإنسانية

النفس الإنسانية كنفس العالَم هي على حركته، ولها اتصال بالمُثل واتصال بعالم الحس، وهي تنقسم إلى قسمَيْن: الجزء الأعلى أو الأرقى وبه العقل، وهو الذي يدرك المثل، وهو بسيط غير مركب ولا

يقبل التجزئة، وهو أبدي لا يفنى، والقسم الثاني هو القسم اللاعاقل، وهو يتجزأ ويفنى، وهذا القسم ينقسم إلى جزأيْن: الجزء الشريف والجزء الوضيع، فالجزء الشريف تتعلق به الشجاعة وحب الشرف وكل العواطف النبيلة، والجزء الوضيع يتعلق به كل الشهوات البهيمية، والجزء الأول له اتصال بقسم العقل، ولكنه يختلف عنه بأنه غريزي لا يصدر منه الشيء عن تفكير، ومركز قسم العقل الرأس، ومركز الجزء الشريف من القسم اللاعاقل القلب، ومركز الجزء الوضيع أسفل البدن، والإنسان وحده هو الذي له القسمان، والحيوان له النوعان من القسم الثاني، والنبات ليس له إلا النوع الأخير من القسم الثاني، والذي يميز الإنسان عما عداه هو قوة التفكير.

وقد ربط أفلاطون نظريته في أبدية النفس وأزليتها بنظريته في المثل بمسألتيْن هامتيْن: وهما التذكر والتناسخ.

4 ــ والأخلاق وتشمل المبادئ السياسية، وواجبات الإنسان من حيث هو فرد، ومن حيث هو عضو في مجتمع.

تتركز غاية الأخلاق عند أفلاطون حول تحقيق الخير الأسمى، الذي يُعدّ فلسفيًا الغاية النهائية للإنسان والمجتمع. وتكمن هذه الغاية في الفضيلة، باعتبارها تناغمًا بين قوى النفس الثلاث: العقل، والعاطفة، والرغبة، وعند بلوغ هذا التناغم، يتحقق العدل في النفس، وهو ما يُعدّ الفضيلة العليا عند أفلاطون.

لا ينظر أفلاطون إلى الأخلاق من منظور نفعي أو مصلحي، بل يراها مرتبطة ارتباطًا جوهريًا بالحقيقة والترتيب الكوني. فالخير عنده ليس مفهومًا نسبيًا، بل مبدأ مطلق، هو "فوق الوجود" كما وصفه في محاورة الجمهورية. والسعي نحو هذا الخير يتم من خلال المعرفة، لذا فإن الأخلاق عنده مشروطة بالمعرفة العقلية، وليس بالرغبات أو العواطف.

غاية الأخلاق إذن، ليست فقط في سلوك الأفراد، بل في بناء نفس متوازنة، ومجتمع عادل، يُحكمه الفلاسفة الذين يعرفون الخير الأسمى، ويمتلكون الحكمة التي تؤهلهم لتحقيقه في الواقع.

وباختصار، غاية الأخلاق عند أفلاطون هي: تحقيق العدل عبر تناغم النفس، وبلوغ الخير الأسمى من خلال المعرفة العقلية، في سبيل بناء إنسان فاضل ومجتمع مثالي.

المراجع

أحمد أمين، زكي نجيب، قصة الفلسفة اليونانية، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة،1935.

2. أفلاطون الجمهورية، ترجمة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية القاهرة.دت
3. أفلاطون، جمهورية افلاطون، ترجمة: حنا خباز، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة،2017.